

تاريخ القبول: 2024/10/20

تاريخ الإرسال: 2023/03/04

تاريخ النشر: 2025/04/30

قراءة في الدور الإنتاجي للأسرة في المجتمع الموريتاني
A reading of the productive role of the family in
Mauritanian society

المصطفى أسقير مسعود¹، بن ققة سعاد²جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)،¹

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)،

elmoustapha.sghairmessoud@univ-biskra.dz

souad.benguega@univ-biskra.dz

الملخص:

إن إدماج المرأة الموريتانية في حلقة الإنتاجية لا يكاد يعرف سابقا، وإن تغير الأمر نتيجة تحديات الحياة الاجتماعية التي تفرض تضافر كل الجهود تحقيقا لل حاجات الفردية والجماعية وعلى كل المستويات ولكل الفئات. لذا ويهدف الكشف عن ذلك جاءت هذه الدراسة بغرض تسليط الضوء على طبيعة الأنشطة الإنتاجية للأسرة الموريتانية ودورها في تحسين مستوى المعيشة، وذلك من خلال أجزاء ثلاث: معرفة حجم الاستعداد للإنتاج لدى الأسرة الموريتانية، أنواع الأنشطة الإنتاجية الممارسة، ثم مدى انعكاس الأنشطة الانتاجية على المستوى المعيشي للأسرة.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يسعى إلى جمع البيانات الدقيقة والكافية حول الظاهرة موضوع البحث وتحليلها بصفة علمية موضوعية، ثم توضيح العلاقة بين المتغيرات

الكلمات المفتاحية: الأنشطة الإنتاجية، الأسرة الموريتانية، المستوى المعيشي، البناء

الاجتماعي

Abstract:

The study shed light on the nature of the Mauritanian family's productive activities and its role in improving the standard of living, through three parts: (knowing the size of the Mauritanian family's willingness to produce, the types of productive activities practiced, and the extent to which productive activities reflect the family's standard of living.

This study relied on the descriptive analytical approach, which seeks to collect accurate and sufficient data about the phenomenon under investigation and analyze it in an objective, scientific manner, then clarify the relationship between the variables.

key words: Productive activities, Mauritanian family, Standard of living, Social structure

المؤلف المرسل: سعاد بن ققعة، SOUAD.BENGUEGA@UNIV-BISKRA.DZ

1. مقدمة:

من البدهة بمكان القول بأن الأسرة هي النواة الأولى لأي مجتمع ولبنته الأولى، فالمجتمع ما هو إلا مجموعة من الأسر تتشابه وتتفاعل فيما بينها، وتؤثر وتتأثر بما حولها من ظواهر طبيعية واجتماعية... وإذا كانت الغاية الأسمى للأسرة هي المحافظة على بقاء النوع البشري واستمراره، كان لزاما عليها أن تبحث عن الوسائل التي تضمن بها استمرارها وبقائها، خاصة في ظل عالم متغير تتزايد فيه حاجيات الفرد يوما بعد آخر.

وبالعودة إلى مفهوم الأسرة المنتجة نجد أنه مركب من مفردتين "أسرة" و"الانتاج"، حيث تشير الأولى منهما إلى مجموعة الأفراد الذين يجتمعون تحت

مسمى أسرة، في حين تشير المفردة الثانية إلى فكرة الانتاج وتوفير دخل يؤمن حاجات أفرادها.

والأسرة المنتجة في معناها العام هي تلك التي تعتمد على مهارات أفرادها واستغلالها أحسن استغلال بهدف تأمين كافة احتياجات الأسرة، وليس هذا فحسب، وإنما تحقيق فائض من الدخل.

وقد تختلف الأسرة المنتجة في نوعية انتاجها ودرجة تأثيرها في اقتصاد المجتمع الذي تنتمي إليه، وذلك تبعاً لاختلاف المجال ودرجة الوعي والمستويات التعليمية بالإضافة إلى حجم الاستعداد لدى أفراد الأسرة الممارسة للنشاط الانتاجي. وتأسيساً على ذلك سنعرض في هذه الورقة البحثية أمثلة من النشاطات الانتاجية الممارسة من قبل الأسرة الموريتانية، محاولين الوقوف على ما حققته هذه الأنشطة من مكانة اجتماعية غالباً ما تكون مختلفة عن المكانة الاجتماعية التقليدية في مجتمع معقد ومتعدد الأعراق.

من هنا نؤكد على أن أي محاولة لفهم الأسرة الموريتانية دون تفكيك المجتمع إلى مجموعة وحدات بنائية تتفاعل وتتسق مع بعضها البعض لن تعطي نتائج ذات طابع علمي رصين. لذا وتحقيقاً لأهداف هذه المداخلة انطلق الباحثان من الموجّهات البحثية التالية:

ما حجم الاستعداد الانتاجي لدى الأسرة الموريتانية؟

ما هي أنواع الأنشطة الانتاجية التي تمارسها الأسرة الموريتانية؟

تكمّن أهمية هذه الورقة البحثية في كونها محاولة لفهم أحد مجتمعات المنطقة وأهمها من الناحية الاستراتيجية، خاصة وأنه عبارة عن مزيج من شعوب المنطقة، فرغم أن غالبية مكوناته هم من العرب العربية، فهو كذلك يمثل همزة الوصل بين مجتمعات شمال القارة الإفريقية وجنوبها، لذا يمكن تحديد الأهمية العلمية

والعملية لموضوع الدراسة النابع من الطرح السابق في الكشف عن القيمة الإنتاجية للأسرة الموريتانية في سبيل دفع عجلة الاقتصاد ومن ثم التنمية وكذا تحقيق مكانة اجتماعية متميزة، إلى جانب ذلك تزويد التراث المعرفي بدراسات تربط بين الأسرة والإنتاج والتنمية والاقتصاد. إضافة الى تحقيق جملة من الأهداف أبرزها إعطاء صورة عن بنية المجتمع لموريتاني، وفهم البناء الاجتماعي للأسرة الموريتانية.

مع الوقوف على حجم استعدادها الإنتاجي، و الوقوف على أنواع الأنشطة الانتاجية التي تمارسها ، وما حققت هذه الأنشطة لأصحابها من مكانات اجتماعية مكتسبة وليست موروثية.

2. مقارنة مفاهيمية للموضوع

لا يختلف اثنان حول أهمية تحديد المفاهيم في أي عمل بحثي، لكنها تزداد أهمية في الدراسة السوسولوجية، حيث دأب الباحثون على تحديد المفاهيم والمصطلحات المشكلة لموضوع البحث وإظهار دلالتها المعرفية وتنوع قراءاتها في المجالات المعرفية المختلفة، وبما أن البحث يتناول موضوع "انعكاس الأنشطة الانتاجية للأسرة الموريتانية على اقتصاد المجتمع" كان لزاما علينا التطرق ولو بإيجاز للمفاهيم التالية:

1.2 الأنشطة الإنتاجية Production activities:

تعرف الأنشطة الانتاجية بأنها مجموع العمليات التي تتم بهدف الحصول على السلع والمنتجات والخدمات الموجهة لتغطية الاحتياجات والرغبات في مجتمع ما.¹

وبما أن الأسرة هي وحدة مصغرة من المجتمع، نستخدم هنا مفهوم الأنشطة الانتاجية للتعبير عن مجموع النشاطات التي تقوم بها الأسرة بغرض تأمين حاجاتها الأساسية مادية كانت أو معنوية.

2.2 الأسرة الموريتانية Mauritanian family:

الأسرة الموريتانية لا تختلف عن مثيلاتها في المجال العربي والإسلامي، وذلك بحكم انتماءها لأحد هذين المجالين، إن لم يكن كليهما معا. وما نعينه هنا بالأسرة الموريتانية هم الزوج والزوجة أو مجموع زوجات تربطهما علاقة شرعية يقرها الدين والقانون وما ينتج عنها من أطفال يقيمون في سكن واحد، وما ينجر عن هذه العلاقة الزوجية من مهام وأدوار اتجاه أعضاء الأسرة ذاتها واتجاه المجتمع ككل.

3.2 مستوى المعيشة Standard of living:

هو مصلح فضفاض وغير دقيق من حيث المعنى، رغم ما أثاره من نقاشات بين الاقتصاديين، وعادة ما يتم استخدامه للتعبير عن المستوى الاقتصادي للفرد، الأسرة أو الدولة.

ونعني به هنا حجم السلع والخدمات التي باستطاعة أفراد الأسرة الحصول عليها قياسا على مستوى دخلهم السنوي، أو هو مجموعة محددات القدرة الشرائية بالنسبة للأسرة، الأمر الذي يسمح لها بتحقيق أكبر قدرة من حاجات أفرادها.

3. البناء الاجتماعي للأسرة الموريتانية:

إن أي حديث عن الأسرة الموريتانية دون التطرق للمكونات والخصائص الاجتماعية للمجتمع ككل هو كلام ناقص ومجتزأ إلى حد كبير، ذلك أن فهم الأسرة الموريتانية يتطلب فهم البيئة المكونة للبناء الاجتماعي، الذي يعرف حالة من التجانس واللاتجانس في آن واحد.

ويمكن تقسيم المجتمع الموريتاني إلى مجموعتين كبيرتين تتمايزان من حيث اللغة والنشاطات الاقتصادية أساسا، وتشاركان في الدين، الثقافة والعادات والتقاليد... الخ، وذلك على النحو الآتي

1.3 المجموعة العربية

تمثل غالبية السكان حيث تضم كلا من: حسان (العرب)، الزوايا (الطلبة)، أزناكه، إيكاون، لمعلمين، بالإضافة إلى لحراطين (الأرقاء السابقين)، وإذا كان بعض مكونات هذه المجموعة قدم إلى موريتانيا في شكل هجرات متعاقبة، فإن بعضها الآخر ينتمي إلى السكان الأصليين للأرض لكنهم تعربوا فيما بعد، وللتفصيل أكثر في هذا الجانب نوزعه كالتالي:

1.1.3 حسان (العرب): تقوم فلسفة حسان على نبذ التملك أو جمع وتكديس الثروة، ولذلك يعتمدون في معاشهم على ما يجنون برماحهم أو ما يغمون من أعدائهم، وذلك ناتج عن قوتهم المكتسبة عن طريق التدريب المكثف على حمل السلاح منذ المراحل الأولى للطفل، بل إنهم كانوا يتركبون في رأس المولود خصلات من شعره ولا تحلق إلا إذا قام ببطولة تثبت فروسيته.²

2.1.3 الزوايا (الطلبة): هو وصف يطلق على الفئة التي عكفت على تعلم وتعليم الدين ونصوصه دون غيرها من الفئات الأخرى، فإذا كانت فئة حسان قد احتكرت الزعامة السياسية والعسكرية فإن الزوايا في مقابل ذلك هيمنوا على الزعامة الروحية وامتحنوا الأمور الاقتصادية، وبالتالي ساهموا في إنتاج الثقافة العامة وإثرائها. ومن الجدير بالذكر أن هذه الفئة رغم تعدد أصولها العرقية، فإنها حرصت وأكدت دائما على الانتماء إلى الأصول العربية، وهو ما يفسر توزيعهم في أشكال وتنظيمات (القبيلة) مشابهة لما هو موجود في الثقافة العربية كمحاولة للتأكيد على عروبيتهم.

3.1.3 أزناكه (اللمة): هناك اختلاف كبير بين الباحثين حول أصل هذه الفئة، إلا أن أغلبهم ذهب إلى التأكيد على أنها تتشكل من المجموعات المغلوبة من قبائل صنهاجة وحسان في الحروب، فأصبح عملها محصور في تنمية المواشي المملوكة لأصحاب الشوكة (حسان، الزوايا)،³ وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفئة تمثل قوة

احتياطية في الحروب، وبذلك فهي تساهم ولو بالنزر القليل في السياسة والأمور العسكرية.

4.1.3 إيكاون (الفنانون): ارتبطت هذه الفذة أساسا بحسان، وهي مجموعة أسر محدودة العدد تمتهن الغناء والموسيقى، ومن هنا أخذت تسميتها التي لا تعبر عن الأصل بقدر ما تعبر عن وظيفية (الغناء).⁴

5.1.3 لمعلمين (الصناع): هي فئة امتهنت الحدادة، ومنها أخذت تسميتها "الصناع"، وهي بذلك لا ترجع إلى أصل واحد، فمنهم شريف الأصل والعربي المحض والصنهاجي.⁵ وإذا كان يصدق وصف "بناة الحضارة الموريتانية" على قوم فهم فئة "لمعلمين" وذلك باعتبار الدور الذي لعبوه قديما وحديثا في المجتمع الموريتاني، فقد كان يعتمد عليهم في صناعة كل ما تحتاجه بقية الفئات الأخرى من (السرج والسلاح الذين يحتاجهما العربي، والأدوات التعليمية التي يحتاجها الزاوي، وانتهاء بآلات الطرب التي يستخدمهما الفنان، والفأس و"المحلاب" اللتين يستخدمهما الحراطي). بل يتجاوزون ذلك إلى صنع كل ما يحتاجه البيت في المجتمع التقليدي من أدوات الحل والترحال.

5.1.3 لحراطين (الأرقاء السابقين): هي أكثر فئة عانت من ويلات العبودية والاضطهاد، وقد اختلف الباحثون حول الأصول العرقية لهذه الفئة وكذلك أصل التسمية (لحراطين) حيث يرى البعض أنها كلمة بربرية "إحراضن" أي الخلاسي أو الهجين من أب بربري وأم حبشية أو العكس.⁶ إلا أن هناك من يفرق بين لحراطين والعبيد على أساس أن لحراطين هم أولئك الذين تمكنوا بطريقة أو بأخرى من الخلاص من العبودية، في حين أن العبيد يتبعون لأسيادهم حتى في أدق تفاصيل حياتهم اليومية، على عكس لحراطين الذين انفكوا من العبودية، وصار لهم مستوى

من الاستقلالية عن أسيادهم السابقين، وإن عملوا معهم فبمقابل أجر معلوم حسب نوع العمل.⁷

أما في وقتنا الحالي فقد أخذت تسمية "لحراطين" مدلولاً أعم حيث أصبحت تطلق على كل العرب سود البشرة، سواء خضعوا للاسترقاق سابقاً أو لا.

2.3 المجموعة الزنجية:

تقابل المجموعة العربية وهي ذات أصول وانتشار إفريقي كبير، تنتشر أساساً في الجنوب الموريتاني، وقد بدأت في الآونة الأخيرة تشهد انتشاراً ونزوحاً نحو مناطق أخرى من البلاد، وهي تتميز بحسب اللغة ودوائر الانتماء إلى ثلاث قوميات أو إثنيات هي:

1.2.3 البولار (الفلان): اختلف الباحثون حول منشأ هذه الإثنية التي تنتشر اليوم في 25 دولة إفريقية، وبذلك تختلف تسمياتهم، كما تختلف لهجاتهم اختلافاً طفيفاً،⁸ ويتشابه مجتمع الفلان تشابهاً كبيراً مع المجموعة العربية من حيث التقسيم الاجتماعي، بل ويزيد عليه بوجود دوائر انتماء صغيرة داخل الفئة الواحدة من الفئات الأربع الكبرى، وهنا نؤكد أن المجتمع البولاري فئوي وليس طبقياً كما يصف البعض، وذلك تأسيساً على تعريف كل من "الطبقة الاجتماعية" و"الفئة الاجتماعية" اللتين جرى الخلط بينهما. فالتقسيم الذي يشهده المجتمع البولاري يقوم على تفاضل اجتماعي يحدد مكانة الفرد عند ولادته ولا تتغير حتى وفاته، وهذا منافي لمعنى الطبقة التي تتأسس على مبدأ اقتصادي.

فنجذ في أعلى الهرم الاجتماعي فئة الأسياد أو الأحرار وتشمل كلا من التورو، الريمبي وجاومبي على الترتيب، والتورو هم المشتغلون بالدعوة وتعلم وتعليم الدين، وهم بذلك يوازنون الزوايا في المجموعة العربية. أما الريمبي فهم قادة الجيوش ورؤساء المحاربين، وأما جاومبي وهم الأحرار من جهة الأم فقط.

أما الفئة الثانية فتتسمى باسم "ميانبي" **Myenbé** وهم الحرفيون المهرة، ويعمل النساء في هذه الفئة جنبا إلى جنب الرجال، وهي بدورها تحوي دوائر انتماء صغيرة مرتبة حسب المهنة، الحدادون والصاغة أولا، فالنجارون، والنساجون، فالدباغون وصانعو الأحذية، ثم المغنيون.

وفي أسفل الهرم الاجتماعي للفلان تقع فئة العمال غير المهرة، والعبيد **Matynbe** الذين يتفاضلون بحسب مكانة أسيادهم، بالإضافة إلى غالونكي **Gallunke** وهم العبيد الذين تم تحريرهم.⁹

2.2.3 السوننكي (ساراكولي): لم يختلف المجتمع السوننكي التقليدي المجتمعين السابقين، حيث ينقسم إلى عدة فئات اجتماعية متميزة ومتباينة وانعكست حتى في المقابر والمساجد، فتكون هنا مساجد ومقابر خاصة بعلية القوم، وأخرى لمن هم دون ذلك.¹⁰

وفي أعلى الهرم الاجتماعي للسوننكي نجد فئة "الهوري اللمو" بصنفيها "موديني" وهم رجال الدين و"تانكا اللمو" وهم المحاربون والزعماء السياسيون. والفئة الثانية من هذا المجتمع يمثلها الحرفيون إلى جانب رجال البحر العارفون بأحواله، وفي أسفل الهرم الاجتماعي يقبع العبيد الذين يحملون لقب "كومو" ولا يسمح لهم بتغيير مكانتهم الموروثة.

3.2.3 اللولوف: المجتمع الولفي التقليدي قائم على تراتبية طبقية، وليست الطبقة هنا بمعناها الاقتصادي الذي يسمح للفرد بالانتقال صعودا أو نزولا حسب مستواه الاقتصادي، بل إنما يوجد في المجتمع الولفي يصدق عليه وصف شرائحي/ طبقي وذلك لأن هذه التراتبية تحدد الأفضلية بناء على الأصول العرقية، ثم المهنة في مرحلة لاحقة.

فوجد على رأس الهرم الولفي "الجبر" أو "الجور" بمعنى الرجل النبيل وهم المزارعون وملوك الأراضي الزراعية، فالفنانون ثم الحدادون الذين ينقسون بدورهم إلى نوعين (عمال الحديد، صائغوا المجوهرات)، أما "لاووبي" فهم صناع الخشب، وأصلهم من البولار، ويأتي بعد ذلك "وودي" صناع الأحذية فالنساجون "راب" ثم العبيد في الجزء السفلي من الهرم ويسمون بـ "ديام" الذين يعيشون تحت سلطة العائلات التي يخدمونها.¹¹

من هنا نلاحظ أن هذه التراتبية التي عرفتها جميع مكونات المجتمع الموريتاني التقليدي كانت تتأسس أساساً على المهنة المحددة عند الولادة، وبالتالي فالمكانة الاجتماعية هي تبع لذلك موروثه وغير مسموح بتغييرها، حتى ولو استطاع الفرد تغيير مهنته وحسن من مستواه الاقتصادي، خاصة في المجموعة الزنجية، أما في المجموعة العربية فلم تتأسس هذه التراتبية على معيار محدد، حيث كانت في البداية نوعاً من توزيع الأدوار بهدف التكامل، إلا أنها أضحت بعد ذلك عصية على التغيير.

4. الأسرة الموريتانية:

إن الحديث عن الأسرة الموريتانية هو حديث ثري ومتشعب بفعل تعدد الأسرة من حيث البناء والتشكل والتطور وكذا التفاعل، خاصة في مجتمع تتعدد فيه الأعراق وما يلحقها من عادات وتقاليد، رغم المرجعية الإسلامية الواحدة، وكذا وحدة المجال الجغرافي، فالأسرة في المجموعة العربية قد لا تكون هي ذاتها الأسرة في المجموعة الزنجية لا من حيث البناء ولا التفاعل.

ففي المجموعة العربية تمثل وحدة الزوجة السمة الأساسية، كما نجد أن المجتمع يحثها على الاستهلاك أكثر من الإنتاج وهو ما تكرسه القيم والعادات التقليدية كما يظهر في المثل (رزق المرأة تحت وركها) و(المرأة من بيتها إلى قبرها)، ضف إلى

ذلك ما يلعبه "حفظ ماء الوجه" من استنزاف ميزانية الأسرة خاصة فترة المناسبات الدينية والاجتماعية من خلال ما يعرف "بالواجب". ينضاف على سمات الأسرة في المجموعة العربية سيطرة المرأة المطلقة في كلما يتعلق بالبيت. رغم أن هذا يقتصر على المرأة في المدينة (مجال بحثنا)، لأن المرأة في الأرياف تعمل إلى جنب الرجل في الحقول.

أما في المجموعة الزنجية فإن تعدد الزوجات هو السمة الغالبة فيه، والغاية عندهم من التعدد هو إنجاب أكبر قدر من الأبناء يساعدون على أعباء الحياة، وهي - لعمري - سمة مستمدة من العقلية الاجتماعية التقليدية، كما أن المرأة في المجموعة الزنجية أقل استهلاكاً وأكثر إنتاجاً من المرأة العربية، فهي تعمل إلى جنب الرجل سواء في الأرياف وفي المدن وبذلك فهي تساهم في مصاريف الأسرة.¹²

من هنا نكون أمام نمطين مختلفين من الأسرة الموريتانية، رغم تشابههما من حيث التشكل، ونرصد أوجه الاختلاف في النقاط التالية على سبيل المثال لا الحصر:

وحدة الزوجة

الاستهلاك المرتفع

الإنتاج المشترك

سيطرة المرأة

5. الأنشطة الإنتاجية وانعكاسها على مستوى المعيشة:

تلعب الخلفية الاجتماعية والظروف المساعدة دوراً مهماً في الأعداد النفسي والبدني لمزاولة الأنشطة الإنتاجية سواء على مستوى الفرد أو الأسرة، وتأسيساً على ذلك نجد أن الأسرة الموريتانية تختلف من حيث الظروف وكذا الخلفيات الاجتماعية،

وبالتالي اختلفت استعداداتهم نحو ممارسة الأنشطة الإنتاجية وكذا أنواع الأنشطة الإنتاجية الممارسة، وهو ما ينعكس بالضرورة على مستوياتهم المعيشية، فكيف ذلك؟

1.5 استعداد الأسرة للإنتاج

الأسرة الموريتانية متفاوتة الاستعداد للإنتاج انطلاقاً من خلفيتها الاجتماعية والظروف المساعدة، فنجد أن الأسرة ذات الأصل الأعلى في الهرم الاجتماعي للمجتمع التقليدي ظلت إلى عهد قريب غير مستعدة لممارسة كل النشاطات الإنتاجية حتى ولو ارتفع دخلها، إلا أنه وبعد التغير الذي عرفه المجتمع بدأت هذه النظرة تتراجع تدريجياً خاصة بعد أن أصبحت مكانة الفرد وكذلك الأسرة - في المدن خاصة - تقاس بمستواها الاقتصادي، هذا الأمر يشمل كل من رأسي الزعامة التقليدية (حسان والزوايا)، ضف على ذلك أن المرأة في هاتين الفئتين لم تكن مهينة للعمل أصلاً كما ذكرنا سابقاً.

وحين خرجت المرأة للعمل بعد التحولات الاقتصادية ثم الاجتماعية وكذا التوجه الساسي للبلد كرست نفسها للعمل في مجال الإدارة والمؤسسات الخدمية، وذلك لما تلقاه من تسهيلات بفضل مكانتها الموروثة.

هذا لا ينفي وجود العديد من النساء اللواتي يعملن في التجارة، خاصة في الآونة الأخيرة حيث حتمت الظروف عليهن تولي مسؤولية إعالة أسرهن، إما بفعل الطلاق وتخلي بعض الرجال عن مسؤولياته اتجاه أبنائه، أو لموته.

أما في الجهة المقابلة فنجد النساء سواء في الفئات التابعة في المجموعة العربية وكذا النساء في المجموعة الزنجية على كامل الاستعداد لمزاولة جل الأنشطة الإنتاجية - إن لم تكن كلها - وذلك بفضل تكوينهن في المجتمع التقليدي، فقد كن يعملن إلى جانب الرجل خدمة لأسيادهم بالنسبة للعبيد أو الأرقاء السابقين، أو التغني بأمجاد الأسياد بالنسبة لإيكاون، أو تزيين نساء أهل الشوكة بالنسبة للمعلمين... أما

في المجموعة الزنجية فقد كانت النساء يعملن إلى جنب الرجال سواء في الحقول أو تربية المواشي والقيام بحوائجها.

وقد ظلت نساء الفئات التابعة، خاصة في الريف - سواء في المجموعة العربية أو الزنجية - مستعدة لمزاولة كل الأعمال التي تقدر عليها فنجهن يعمل منفردات وفي تكتلات جموعية في الصباغة (صباغة الملابس) والدباغة والتطريز والصناعة التقليدية للحلي والتجارة وإن بدرجات متفاوتة. أما في المدن فقد اختلف الأمر كثيرا فنجد أن المرأة في المجموعة العربية قد أثرت الراحة والائتكال على الرجل في إعالة الأسرة، إلا ما كان من النساء في فئتي (إيكاون ولمعلمين) حيث ظلتا تحافظان على مساهمتهما في دخل الأسرة، وعملهن محصور إما في الغناء وإنعاش الحفلات مقابل أجر بالنسبة لإيكاون، أو صناعة الحلي وتزيين النساء بالنسبة للمعلمات. دون أن ننسى أن مداخل المرأة الموريتانية العربية عموما مخصصة لأغراضها الشخصية وليس المساهمة في مصاريف الأسرة وزيادة مداخلها، ويعود ذلك في الأساس إلى عقلية الرجل الموريتاني، حيث يرى نفسه المسؤول الأول والأخير عن توفير حاجيات أفراد أسرته، إلا أن هذه العقلية بدأت في التراجع في الآونة الأخيرة في ظل تفاقم حاجات الأسرة وارتفاع الأسعار، الأمر الذي جعل المرأة تساهم وإن بدرجات متفاوتة في مصاريف الأسرة.

وتتميز الأنشطة الممارسة من قبل النساء بضعف إنتاجيتها وبالتالي مردوديتها، ولعل ذلك يرجع في الأساس إلى انعدام التدريب وكذا تدني المستويات الدراسية للنساء خاصة في المجالات الجديدة على المرأة، ومع ذلك فقد بلغت نسبة المؤسسات الإنتاجية التي تديرها النساء أزيد من 35%. جدير بالذكر أن معظم تلك النشاطات ممول من طرف الجهات المتضامنة أو من خلال قروض ذات فوائد رمزية ممنوحة من طرف هيئات معينة.¹³

2.5 مستوى المعيشة لدى الأسرة المنتجة

يعد تدني المستوى المعيشي الناتج عن سوء تسيير ميزانية الأسرة سببا رئيسيا في العديد من حالات التفكك الأسري وما ينجم عنه من ظواهر اجتماعية عديدة كالانحراف والجريمة وتشرد الأطفال، وسنحاول في هذا المحور الوقوف على المستوى المعيشي للأسرة المنتجة في موريتانيا بوصفها رافعة للأنشطة الاقتصادية انطلاقا من دورها الكبير في مكافحة الفقر.

وقد دأبت بعض الأسر الموريتانية منذ نزوحها نحو المدن في سبعينات القرن الماضي - بفعل التحولات الاقتصادية ثم الاجتماعية الناجمة عن الجفاف الذي عرفته موريتانيا - إلى مزولة بعض الأنشطة الاقتصادية التي شكلت مصدرا للدخل رغم محدوديتها وضعف مردوديتها، بالإضافة إلى نقص الخبرة في التعامل مع الأنشطة الاقتصادية الحديثة.

ورغم ذلك نجد أن بعض الأسر الموريتانية انتهجت خطأ واضحا في الكسب من أجل التحسين من وضعها الاقتصادي ثم الاجتماعي الذي أصبح تابعا للمستوى المادي خاصة في المدن، وتتوزع الأنشطة الإنتاجية إلى نوعين اثنين، أولهما مصنف (التجارة) والآخر غير مصنف (الأعمال الحرة). والأولى تمارسها الأسر ذات الخلفية الاجتماعية الرفيعة في الهرم الاجتماعي التقليدي، حيث أن تموقعها ذلك أمن لها رأس مال استطاعت استثماره في الحياة الجديدة في المدينة في ممارسة التجارة بمختلف أنواعها، فنجد أن النساء إلى جانب الرجال من هذه الفئة (الأرستوقراطية) يتوزعون على التجارة في الأسواق العامة والخاصة، وهو ما انعكس على مستوياتهم المعيشية وهو ما يتجلى في نوع ومكان السكن ورفاهية المباني السكنية والسيارات وتوسع المشاريع وتعددتها. وهو ما حدا ببعض الأسر المنحدرة من

الفئات التابعة إلى طرق هذا المجال، وخاصة بعد أن استطاعت توفير رأس مال من الأنشطة غير المصنفة.

أما في الجهة الأخرى فنجد أن النشاطات الإنتاجية غير المصنفة وتمارس أساسا من قبل الفئات الهشة أو التابعة في الهرم الاجتماعي التقليدي سواء في المجموعة العربية (لحراطين، لمعلمين) أو في المجموعة الزنجية بمختلف فئاتها.

فنجدهم يزاولون عدة أنشطة إنتاجية من قبيل:

- الصباغة: هذا النشاط نجده يمارس أساسا من قبل فئات محددة من الزنوج، فقد خلقن منه مشروعات صغيرة ومتوسطة يعمل فيها ما بين شخصين إلى 5 أشخاص، إلا أن بعض النسوة المنحدرات من فئة "لحراطين" قد دخلت على الخط منذ تسعينيات القرن الماضي فرادى وجماعات، فشكلن منافسة قوية خاصة وأنهن ابتكرن أنماطا جديدة لصباغة الملحفة (الذي التقليدي للمجتمع العربي الموريتاني)
- بيع السمك: ذكرنا سابقا أن هناك فئات تعد متخصصة في أسرار البحر خاصة من المجموعة الزنجية، هذه الفئة نجد أن نساءها قد اندمجن في نفس المجال، فنجدهن يعملن في بيع السمك على ضفاف البحر وداخل الأسواق الصغيرة، وقد عرفت هؤلاء النسوة منافسة من قبل نساء فئة "لحراطين" اللاتي انخرطن في مجال البيع السمك، ويطلق عليهن اسم "انجايات"، وهن بذلك يكملن مشاريع رجالهن (زوج، أخ، قريب) الذين يعملون في بيع اللحوم.

- الباعة المتجولون "التيفاية": هو نمط تجاري خاص بالرجال ظهر في سبعينيات القرن الماضي، وهو خاص بالرجال المنحدرين من الفئات الهشة من كلا المجموعتين العربية والزنجية حيث أنهم يتجولون داخل الأسواق وهم يحملون الملابس، إلا أنه في السنوات الأخيرة بدأت بعض النسوة الانخراط في المجال خاصة الزنجيات، وفي فترة الأعياد الدينية خاصة. هذا بالإضافة إلى العديد من النساء

اللائي يمتهن بيع المأكولات والمشروبات على أرصفة الطرقات وأما المدارس، وهو نفس المجال الذي تمارسه بعض النساء "الحرطانيات" حيث يبعن بعض الوجبات التقليدية الجاهزة (الكسكس، العيش).

- الصناعة التقليدية: هذا النشاط رغم أهميته بقي محصورا في عدة فئات تتوارثه عبر الأجيال سواء من المجموعة العربية (المعلمين) أو الزنجية، ويحصر عمل هذه الفئة في صناعة الأدوات التقليدية بالإضافة إلى حلي ومجوهرات النساء وأدوات الزينة التقليدية، ولذلك تظل مبيعات هؤلاء رهينة بتزايد أعداد السياح الذين يحرصون على التعرف على العادات والتقاليد الاجتماعية لهذا المجتمع.

هذا بالإضافة إلى أنواع أخرى من المشاريع الصغيرة التي تمارسها بعض الفئات الزنجية بشكل أساسي، وخاصة الولوف كـ "بيع المثلجات". وهذا النوع من المشاريع يتميز بسهولة من حيث الإعداد والتنفيذ، خاصة أنه لا يتطلب سوى رأس مال رمزي وأدوات بسيطة.

وقد استطاعت الأسر الممارسة لهذا النوع من النشاطات من تأمين احتياجاتها الأسرية، وبالتالي التحسين من مستوى معيشتها ونمط عيشها. وهو ما يفسر انخراط بعض الأسر المنتمية إلى مجموعات أخرى (البولار، ولحراطين) في هذا النوع من المشروعات في مرحلة لاحقة، كما يفسر مستوى المنافسة الذي اشتد في الآونة الأخيرة بعد طرق النساء المهاجرات لهذه المشاريع الصغيرة، حيث أحدث نوعا من التغير بنيتها، فقد كانت الأسرة الموريتانية تمارس هذه المشاريع من داخل البيت غالبا وفي حالات نادرة يتوزع أفرادها على المدارس المجاورة ومحطات النقل. أما في الفترة الأخيرة فنجد النسوة المهاجرات يتجولن بالمثلجات على أشكالها في وسط المدينة وفي الأحياء على حد سواء.

من الجدير بالذكر أن هذه الأنشطة رغم تواضعها ومحدودية مردوديتها المادية قد ساهمت في تأمين دخل محترم للعديد من الأسر الموريتانية وبالتالي تحسن مستويات المعيشي، رغم أنه لا يرقى إلى مستوى أولئك الذين يزاولون أنشطة إنتاجية مصنفة، خاصة في ظل التمويلات الصغير التي تعتمد عليها بعض الجهات الرسمية والغير الرسمية والتي ساعدت كثيرا في زيادة دخل الأنشطة الإنتاجية للأسرة الموريتانية.¹⁴

خاتمة

مما سبق تبين أن الأسرة الموريتانية قد عرفت الكثير من التغييرات التي مرت بها كل المجتمعات وخاصة في الدول العربية والاسلامية، وإن كانت قد اختلفت في حدوثها ومداهها، لكن ما تتفق فيه جميعها هو أن حركة التحول والتبدل هي حتمية كنتاج لعملية التحديث، وكمترتب من مترتبات التغيرات العالمية التي أثرت على مختلف بُنى دول العالم على اختلاف وجودها في سلم التقدم والتطور التي يعكس في النهاية مستوى التنمية.

على العموم اتسم المجتمع الموريتاني ببنيته الاجتماعية المتميزة والتي أفرزت أشكالاً مختلفة من الأسرة تعتمد في بنائها وتسييرها ونظمها على منظومة قيمية تختلف من بيئة اجتماعية لأخرى في هذا المجتمع.

إن هذا التمايز الطبقي والاجتماعي ترتب عنه مكانات اجتماعية مختلفة للأسرة تحكمت في مستوى اندماجها في الاقتصاد وتحكمت في مستوى خدماتها وفي إنتاجيتها. والتي ظلت محكومة بمنظومة قيمية ترجع إلى فترات بعيدة من الزمن مرتبطة بالقيم المتوارثة، ولا ننكر في الوقت ذاته وجود نشاط إنتاجي للأسر الموريتانية الذي كان نابعا بالأساس من الدور الانتاجي للمرأة والذي كان لصيقا بوجودها.

ومن هنا نخلص إلى أن الأسرة الموريتانية في المدينة هي أسرة منتجة في أغلب فئات المجتمع، ولعل ذلك راجع إلى التحولات السوسيواقتصادية التي عرفتها موريتانيا فترة السبعينيات من القرن الماضي والناجمة عن الجفاف الذي ضرب المجتمع في الريف، ما دفعه إلى النزوح نحو المدينة.

الهوامش والإحالات:

- ¹. شهرزاد لكل. (2022). مفهوم الأنشطة الاقتصادية وأنواعها. مجلة الحوكمة والقانون الاقتصادي، المجلد 02(العدد 02)، ص 69
- ². غيور جمال. (2023). البنية الاجتماعية والاقتصادية لموريتانيا قبل الاستعمار الفرنسي. مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، المجلد 08(العدد 01)، ص 31
- ³. ولد السالم حماد الله. (2007). تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية. الرباط، المغرب: منشورات الزمن، ص 17
- ⁴. المرجع نفسه
- ⁵. ولد حامد المختار. (1994). حياة موريتانيا (الجغرافيا). الرباط، المغرب: معهد الدراسات الإفريقية، ص 105
- ⁶. ولد السالم حماد الله. (2010). تاريخ بلاد شنقيطي (موريتانيا). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ص 191
- ⁷. غيور جمال. (2023). البنية الاجتماعية والاقتصادية لموريتانيا قبل الاستعمار الفرنسي. مرجع سبق ذكره، ص 37
- ⁸. سيد عبد الله الشيخ. (2015). تاريخ وثقافة البوляр (مقابلة تلفزيونية). (المحاور: صو ابراهيم)
- ⁹. الميغري عماد. (2006). المسألة الإثنية والدولة في موريتانيا وانعكاسها على الخصوبة والسلوك الإنجابي للأقليات. مجلة إنسانيات (العدد 32/33)، ص 66
- ¹⁰. محمد المختار بيه محمد المحجوب. (2010). المقاومة السوننكية للاستعمار في كيدي ماغه. نواكشوط، موريتانيا: مكتبة القرنين، ص 45
- ¹¹. وزارة الثقافة والشباب والرياضة والعلاقات مع البرلمان. (بلا تاريخ). موريتانيا.. الواحد المتعدد. تاريخ الاسترداد 11 11، 2023، من
- ¹². سيد عبد الله الشيخ. (2015) مقابلة تلفزيونية
- ¹³. الأمم المتحدة. (2007). اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (تقرير)، ص 25

¹⁴. جمعية العون المباشر. (2017). عون لك (تقرير حول تونس، السودان، وموريتانيا)، ص 24